العرب
الخميس 2021/11/25
السنة 44 العدد 12251

المهاجرون من الشرق الأوسط بيادق في حرب باردة جديدة

الآلاف من الأشخاص عالقون بين تعنّت لوكاشينكو ورفض الاتحاد الأوروبي التنازل

مازال الآلاف من المهاجرين من الشرق الأوسط عالقين على الحدود بين بيلاروسيا وبولندا، وفي المقابل لا تكترث سلطات بيلاروسيا إلى الأوضاع الصعبة لمن جلبتهم عبر الجو بغرض ابتزاز الاتحاد الأوروبي والرد على العقوبات المفروضة عليها، حيث يؤكد باحثون أن الرئيس البيلاروسي ألكسندر لوكاشينكو يوظف ورقة اللاجئين كبيدق في حربه الباردة مع أوروبا، مع احتمال تصعيده في حال فرضت على بلاده عقوبات جديدة، وتدعمه في ذلك حليفته روسيا التي ترى أن الغرب يجب أن يدفع للوكاشينكو لوقف إرسال المهاجرين إلى أوروبا.

هجرة أم متاجرة بالبشر

مينسك – تتهم بروكسل الرئيس ألكسندر لوكاشينكو الذي يدير بيلاروسيا بيد من حديد منذ نحو سبعة وعشرين عاما، بتدبير وصول الآلاف من المهاجرين إلى بلاده منذ الصيف قبل نقلهم إلى الحدود الشرقية للاتحاد الأوروبي، بهدف الانتقام بسبب العقوبات الغربية المفروضة على بلاده.

وبينما نحن على أعتاب الشتاء، مازال الآلاف من المهاجرين من العراق وسوريا واليمن عالقين في البرد القارس على الحدود بين بيلاروسيا حليفة روسيا وبولندا العضو في الاتحاد الأوروبي، وهدفهم واضح وجلي؛ ألا وهو الوصول إلى دول الاتحاد الأوروبي الغنية مثل ألمانيا أو فرنسا أو بلجيكا في أسرع وقت ممكن.

وتعالت الأصوات الحقوقية المندة بما يحدث مع المهاجرين، واستنكر بعضها تعرض اللاجئين إلى العنف وانتهاكات خطيرة، إلا أن مينسك سارعت إلى نفي الاتهامات الموجهة إليها، في المقابل اتهمت لجنة الحدود في الحكومة البيلاروسية قوات الأمن في بولندا وليتوانيا ولاتفيا بممارسة العنف ضد اللاجئين في محاولة لإعادتهم إلى حدودها.

نيكولا ميكوفيتش

اللاجئون اليائسون بيادق في لعبة جغرافية سياسية

وأعلنت منظمة هيومن رايتس ووتش الأربعاء أن كلًا من بيلاروسيا وبولندا ارتكبتا "انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان" حيال مهاجرين وطالبي لجوء على الحدود بين البلدين.

وقالت الخبيرة في شؤون أوروبا وآسيا الوسطى في المنظمة ليديا غال في بيان "في وقت افتعلت بيلاروسيا هذا الوضع بدون الاكتراث للعواقب الإنسانية، تتشارك بولندا معها مسؤولية المعاناة الحادة في المنطقة الحدودية".

وحضّت غال مينسك ووارسو على "وضع حدّ لتقاذف المهاجرين والسماح لمراقبين مستقلّين، خصوصًا للصحافيين والمدافعين عن حقوق الإنسان، بالوصول إلى المناطق الحدودية التي تخضع حاليًا لقيود".

ويقول المحلل السياسي الصربي نيكولا ميكوفيتش، في مقال لموقع "سنديكيشن بيورو" للرأي المتخصص في الشرق الأوسط، إن التوترات الناجمة عن حرب باردة جديدة يُخشى اندلاعها أدت إلى استخدام هؤلاء اللاجئين اليائسين النازحين من الشرق الأوسط كبيادق في لعبة جغرافية سياسية.

وفي نظر الرئيس البيلاروسي، ما المهاجرون سوى أداة؛ فقد أحضرهم إلى أوروبا الشرقية من أجل الاقتصاص من الغرب على العقوبات التي فرضها على مينسك في أعقاب قمع الاحتجاجات الجماهيرية في عام 2020 واعتقال المعارض رومان بروتاسيفيتش في شهر مايو، وسياسة لوكاشينكو بسيطة للغاية: كلما زادت القيود التي يفرضها الاتحاد الأوروبي على بيلاروسيا، زاد عدد المهاجرين الذين سيتدفقون إلى الاتحاد الأوروبي. لكن بروكسل لا تنوي التراجع؛ فقد وافق الاتحاد الأوروبي الاثنين على فرض عقوبات إضافية على بيلاروسيا.

وعلى الرغم من أن التفاصيل النهائية لا تزال قيد النقاش، فمن المتوقع أن تستهدف العقوبات حوالي ثلاثين فردا وكيانا، بما في ذلك وزير خارجية بيلاروسيا فلاديمير ماكي، وشركة الطيران البيلاروسية بيلافيا. ويهدد لوكاشينكو بالرد بقطع إمدادات الغاز عن أوروبا.

ويؤكد المحلل الصربي أنه سيكون لمثل هذا الإجراء بلا شك تأثير خطير على القارة بأكملها نظرا لأن روسيا خفضت بالفعل إمدادات الغاز إلى الاتحاد الأوروبي، ما أدى إلى زيادة هائلة في أسعار الطاقة. لكن نظرا لأن خط أنابيب الغاز الطبيعي يامال – أوروبا الذي يمر عبر الأراضي البيلاروسية مملوك لشركة غازبروم الروسية العملاقة للطاقة، فلا يمكن للوكاشينكو إيقاف نقل الغاز ما لم يحصل على الضوء الأخضر من موسكو. وإذا قرر الكرملين رفع مستوى المخاطرة ووافق على قرار لوكاشينكو، فقد يصبح انقطاع التيار الكهربائي في العديد من الدول الأوروبية حقيقة واقعة.

ونظرا لأن الغرب يدرك تماما أن أزمة المهاجرين يمكن أن تتصاعد وتسفر عن عواقب وخيمة، فقد بدأ بالفعل في الضغط على روسيا لتقييد ما يمكن للوكاشينكو فعله، وهناك تقارير تفيد بأن الاتحاد الأوروبي يستعد لفرض عقوبات على شركة الطيران الروسية الحكومية إيروفلوت بسبب الوضع على الحدود البولندية – البيلاروسية، وتشير بعض التقارير إلى أن قادة الاتحاد الأوروبي يعتقدون أن شركة إيروفلوت تنقل المهاجرين من الشرق الأوسط إلى مينسك، الذين يحاولون بعد ذلك عبور الحدود البولندية، لكن شركة الطيران تنفي بشدة هذا الادعاء.

وإذا فرضت بروكسل بالفعل مثل هذه العقوبات على الشركة الروسية، فقد يرد الكرملين بحظر مرور شركات الطيران الغربية فوق الأراضي الروسية، ما سيؤدي بلا شك إلى زيادة أسعار تذاكر الطيران للعديد من الوجهات.

وقد أخذت الخطوط الجوية التركية التهديدات الأوروبية لشركة إيروفلوت على محمل الجد؛ فأكدت الشركة أنها لم تعد تقبل مواطنين عراقيين وسوريين ويمنيين على متن رحلاتها إلى مينسك، باستثناء حاملي جوازات السفر الدبلوماسية. وبعد أن ضغط الاتحاد الأوروبي على العراق لتعليق جميع الرحلات الجوية إلى بيلاروسيا، بدأ معظم المهاجرين في السفر جوا إلى مينسك عبر إسطنبول. والآن بعد أن تم قطع الطريق التركي، ثمة تقارير تفيد بأن السلطات البيلاروسية تخطط لزيادة عدد الرحلات الجوية من العديد من دول الشرق الأوسط إلى جمهورية الاتحاد السوفيتي السابق.

ويتوقع ميكوفيتش أن يواصل الغرب محاولة منع مثل هذه الترتيبات، ولكن إذا ظل لوكاشينكو مصمما على الاستمرار في الانتقام من عقوبات أوروبا، فيمكنه جلب المهاجرين من آسيا الوسطى، أو حتى من جمهورية الشيشان الروسية، إلى الحدود بين بيلاروسيا والاتحاد الأوروبي.

وتشيد بولندا، وكذلك ليتوانيا ولاتفيا، حواجز على طول حدودها مع بيلاروسيا حيث يثبت التاريخ الحديث أن مثل هذا الإجراء يمكن أن يكون فعالا للغاية؛ ففي عام 2017 أكملت الحكومة المجرية إقامة سور من الأسلاك الشائكة على طول حدودها مع صربيا، وكانت النتيجة انخفاضا في محاولات المهاجرين دخول الاتحاد الأوروبي بشكل غير قانوني. لكن إذا لم يتوقف لوكاشينكو عن إشعال فتيل الحرب الباردة مع الاتحاد الأوروبي، فيمكن أن يعيد توجيه اللاجئين جنوبا إلى أوكرانيا، وسيحاول طالبو اللجوء بعد ذلك الذهاب إلى بولندا أو سلوفاكيا أو حتى المجر في طريقهم إلى الدول الأوروبية الأكثر ثراء.

ومن وجهة نظر بيلاروسيا، دمرت أعمال الغرب في الشرق الأوسط العديد من البلدان ويضطر المهاجرون الآن إلى البحث عن حياة أفضل في أماكن أخرى.

ويشير ميكوفيتش إلى أن وجهة النظر هذه هي السبب في أن السلطات البيلاروسية تذكّر الاتحاد الأوروبي باستمرار بأنه قد وافق على المبدأ القائل بأنه إذا فر شخص ما من منطقة حرب ووصل بطريقة أو بأخرى إلى ألمانيا أو فرنسا أو أي دولة أخرى من دول الاتحاد الأوروبي، فيمكنه التقدم بطلب لجوء.

وقد اتهمت روسيا، حليفة بيلاروسيا، الاتحاد الأوروبي بازدواجية المعايير على لسان وزير خارجيتها سيرجي لافروف الذي زعم أنه عندما كان اللاجئون يصلون إلى أوروبا من الأراضي التركية، خصصت بروكسل أموالا لإبقائهم في تركيا. بعبارة أخرى، أشار لافروف صراحة إلى أن الغرب يجب أن يدفع للوكاشينكو لوقف إرسال المهاجرين إلى الاتحاد الأوروبي.

ويرى المحلل الصربي أن مثل هذا الخيار لا يبدو واقعيا للغاية، فمن وجهة نظر الاتحاد الأوروبي، أي تنازلات لبيلاروسيا، سواء كانت مساعدات مالية أو رفعا للعقوبات، ستُفسر على أنها علامة ضعف. لهذا السبب، يرفض الغرب التفاوض مباشرة مع لوكاشينكو، ويركز على الضغط على الرئيس الروسي فلاديمير بوتين.

واتصلت المستشارة الألمانية المنتهية ولايتها أنجيلا ميركل هاتفيا بالزعيم الروسي مرتين في خلال أسبوع واحد في محاولة لحل أزمة المهاجرين، لكن أي اتفاق قد يتوصل إليه الغرب وروسيا ينبغي أن يشمل لوكاشينكو؛ فهو ليس ألعوبة في يد بوتين، بغض النظر عن مدى اعتماد بلده على روسيا. ويجمَع الزعيمين تاريخ حافل بالخلاف والنزاع، خاصة في ما يخص ملف الطاقة، وكان لوكاشينكو يسعى دائما للحفاظ على أكبر قدر ممكن من سيادة بيلاروسيا، وكما ذكر بوتين بنفسه مؤخرا، الرئيس البيلاروسي مفاوض صعب المراس، والاتحاد الأوروبي يتعلم ذلك من خلال التجربة الحية المريرة.

* سنديكيشن بيورو

تركيا لن تتعافى بسهولة من حكم أردوغان

واشنطن – يواجه الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وحكومته منذ عدة سنوات اتهامات متزايدة بسوء التصرف وإدارة البلاد بطريقة سيئة ما دفع بها مُرغمة نحو أزمات حادة لعل آخرها الأزمة الاقتصادية، بينما ينشغل أردوغان بتحركات خارجية والتدخل في أزمات دول أخرى لتوسيع قاعدة شعبيته ونفوذه.

وسجلت أنقرة انهيارا حادا في العملة المحلية حيث تراجعت الليرة بنسبة 15 في المئة، مسجلة أدنى مستوياتها القياسية مقابل الدولار. وعاد وباء كورونا للانتشار مجددا في البلاد التي مازالت تئن تحت وطأة تداعيات موجات الوباء السابقة.

ورغم توالي الأزمات رفض أردوغان، الذي تثبت استطلاعات الرأي تراجع شعبيته محليا، دعوة الأحزاب المعارضة إلى إجراء انتخابات برلمانية ورئاسية مبكرة، وهو ما عزاه محللون إلى مخاوف أردوغان من تكرار الفشل الذي مني به حزبه العدالة والتنمية في الانتخابات البلدية التي نظمت عام 2019.

ويقول مايكل روبين، الباحث المقيم بمعهد "أميركان انتربرايز"، في تقرير نشرته مجلة "ناشونال إنتريست" الأميركية إن أردوغان حكم تركيا منذ ما يقرب من عقدين.

وفي العقد الأول من حكم أردوغان رفض العديد من المسؤولين الغربيين الاعتراف أو الإقرار بالتغيير في تركيا تحت قيادة أردوغان؛ فعلى سبيل المثال أشاد الرئيسان الأميركيان السابقان جورج دبليو بوش وباراك أوباما بالديمقراطية في تركيا بعد فترة طويلة من توقفها عن كونها ديمقراطية. وفيما لم يواجه الرئيس دونالد ترامب أردوغان باتساق تحرك كل من وزير الخارجية مايك بومبيو وقادة الكونغرس لمحاسبة الرئيس التركي. ويُحسب للرئيس جو بايدن أنه لم يتعامل مع أردوغان بأسلوب التساهل نفسه الذي تعامل به أسلافه.

ويرى روبين، المتخصص في أبحاث شؤون إيران وتركيا والشرق الأوسط بشكل عام، أن معظم القادة السياسيين الأميركيين يدركون اليوم أن تركيا ليست حليفا. ومهما كان نوع تحالف أنقرة مع موسكو فإنه يؤكد مدى عدم موثوقية تركيا كحليف للناتو خلال أي أزمة مستقبلية؛ ذلك أن دعم أردوغان لتنظيم داعش والجماعات التابعة لتنظيم القاعدة وإعادة تصنيف المنتقدين على أنهم إرهابيون يثبتان أن تركيا ليست حليفا في الحرب ضد الإرهاب.

ويضيف أن الأتراك الذين وقعوا ضحية أردوغان والأتراك ذوي التوجه الغربي، والعديد من الأتراك الآخرين، يشيرون إلى أن أردوغان وتركيا ليسا مترادفين. وهم يلاحظون تراجع شعبية أردوغان بشكل متزايد داخل تركيا. فانخفاض قيمة الليرة التركية، حيث فقدت 80 في المئة من قيمتها خلال عقد، دليل على سوء الإدارة المالية لأردوغان. وفي حين يتباهى أردوغان بمشاريع البنية التحتية الكبرى، يبدو أن العديد من هذه المشاريع محاولات واضحة لمكافأة المقربين بعقود تقدر بمليارات الدولارات.

وحتى الأتراك الموالون لأردوغان يلاحظون الآثار المدمرة التي أضفاها حكمه على البلاد. وباتت هناك شكوى شائعة بشكل متزايد من أن "إسطنبول ليست المدينة التي كانت عليها من قبل". ويشعر الكثير من الأتراك بالاختناق بسبب مواقف أردوغان التقييدية وميوله الاستبدادية.

وعلى هذا الأساس هناك سؤالان يمكن طرحهما، وهما: هل يؤدي افتقاد الشعبية –في هذه الحالة– إلى سقوط أردوغان سياسيا؟ وهل بوسع تركيا العودة إلى المسار الأكثر اعتدالا وعلمانية الذي سلكته قبل عام 2002؟

ويقول روبين إن الإجابة عن السؤالين هي "لا". فافتراض أن أردوغان سوف يُخضع نفسه للمساءلة الانتخابية هو ضرب من التمني. صحيح أنه في عام 2019 فاز مرشح معارض في إسطنبول على الرغم من أن أردوغان أمر بإعادة التصويت لأسباب واهية. ولئن كان بالإمكان أن يمنح هذا أملا في أن يتمكن مرشح –حتى عمدة إسطنبول أكرم إبراهيم أوغلو– من الإطاحة بالرئيس أردوغان فإنه يفترض أن الدرس الذي تعلمه أردوغان هو أنه يجب أن يحترم صناديق الاقتراع.

وبدلا من ذلك يشير سجل أردوغان إلى أنه سيتجنب التكرار من خلال زيادة القمع قبل يوم الانتخابات والتلاعب بالأرقام أثناء جدولة الأصوات. وحقيقة أن عددا قليلا جدا من الأتراك خرجوا إلى الشوارع، وأن حزب الشعب الجمهوري من يسار الوسط (الحزب الذي ينتمي إليه إبراهيم أوغلو) لم يرفع صوته بالكاد إلا عندما اعتقل أردوغان زعيم حزب الشعوب الديمقراطي صلاح الدين دميرطاش هي من الأمور التي لا تؤدي سوى إلى تشجيع أردوغان.

ويقول بعض المحللين في تركيا إن التقدم في السن واعتلال الصحة قد يدفعان أردوغان إلى التقاعد لصالح شخص مثل خلوصي أكار، وزير الدفاع التركي. وإذا خسر أكار الانتخابات يستطيع أردوغان أن يلومه ولكنه لن يتأثر بوصمة الخسارة. وهذه أيضا مجرد تمنيات.

ومن غير المرجح أيضا أن ينقل أردوغان زمام الأمور إلى أكار لسبب آخر؛ ذلك أنه بالنظر إلى عدد المسجونين أو المُعتدى عليهم أو القتلى على يد أردوغان، تكون الخطوة الأكثر شعبوية التي قد يتخذها أي رئيس في المستقبل هي اعتقال أردوغان نفسه وجعله يقضي سنوات تقاعده في السجن، وفقا لما يراه روبين.

ويقول روبين إن الكثير من الأتراك الذين نبذهم أردوغان ينظرون الآن إلى حقبة ما قبل عام 2001 على أنها العصر الذهبي. وهم ينصحون بالحذر داخل واشنطن لتجنب قطع العلاقات مع الأتراك الذين يعتبرون أردوغان مشكلة بالنسبة إليهم. لكنْ هناك فرق بين الاعتراف بأن أردوغان ليس تركيا وإنكار أنه جعل البلاد شيئا لن يكون شريكا كما كان من قبل.

مايكل روبين

تركيا تواجه مأزقا ومن الصعب العودة إلى الوضع الطبيعي

في المقابل لا يريد اليونانيون والأرمن والعرب والأكراد وغيرهم أكثر من أن تكون تركيا بلدا طبيعيا متصالحا مع نفسه ومع جيرانه. ولكن تحقيق ذلك يتطلب أكثر بكثير من مجرد التمني من جانب المنفيين والسفراء السابقين. بل إذا تداعت صحة أردوغان ليختفي من المشهد غدا، فإن تركيا سوف تظل تواجه مأزقا مستداما ومن الصعب العودة إلى الوضع الطبيعي، وهو الأمر الذي لن يقاس بالأشهر بل بالعقود.

لا يسمعهم أردوغان